



التذكرة والاعتبار

والانتصار للأبرار

في مناقب شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

رحمه الله تعالى

تأليف

الشيخ عماد الدين بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي

المعروف بابن شيخ الحزاميين

تحقيق وتعليق

عدنان أبو زيد

دار النوادر

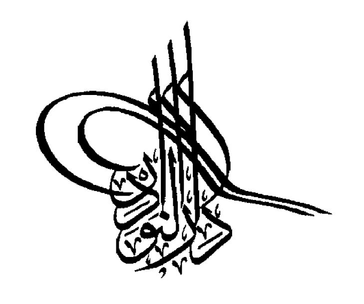


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التذكرة والاعتبار

والانتصار للأبرار

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيع
سُورِيَّة - دِمَشق - ص.ب ٣٤٣٠٦ - بَيْرُوت - لبنان - ص.ب ٥١٨٠ / ١٤
www.daralnawader.com

التذكرة والاعتبار

والانتصار للأبرار

تأليف

الشيخ عماد الدين بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي

المعروف بابن شيخ الحزاميين

المتوفى سنة ٧١١ هـ

تحقيق وشرح وتعليق

عدنان أبو زيد

دار النوادر



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شرورِ أنْفسِنا وسيئاتِ أعْمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ لهُ، وَمَنْ يُضْلل فلا هاديَ لهُ، وأشْهدُ أنَّ لا إلهَ إلا الله، وحدهُ لا شريكَ لهُ، وأشْهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد: فإن أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ وأحْسنَ الهدي هَديُ محمدٍ ﷺ وشَرَّ الأُمورِ مُحْدثاتها، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضَلالةٌ، وكُلَّ ضَلالةٍ في النَّار.

هذه هي الرسالة الثانية للشيخ القدوةِ عمادِ الدّين أحمدَ بنِ إبراهيمَ الواسطيِّ المعروفِ بابن شيخِ الحزاميين، **أُقدمها للمكتبة الإسلامية**، مثلاً،

بعدَ أن جعلْتها همّي وسدمي، أطعمتُها من لحمي وأسقيتها من دمي، على ما أنشدَ الراجكوتي الميمني ـ رحمه الله ـ. وهي رسالة لطيفة منيفة، أسماها: «**التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**»، بعثها لكوكبة من المشايخ الأعلام من أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية، يوصيهم فيها بملازمة الشيخ والحثِّ على اتباع طريقته، في وقت تكالَبَ فيه أهلُ البدع والضلال والباطل من الطرقية، والمتزلفين والمنتفعين.

وكان من ضريبة الدّعوة إلى الله والقيام بمهمّةِ الإصلاح الديني تألُّبُ أهل البدع والمنافقين ضدَّ الذين هم ـ بالحقِّ ـ قائمون، في زمان ابتعد فيه أهلُه عن الدين القويم اعتقاداً وتعبداً، فكان المتعين على أهل العلم أن يرشدوا الناس إلى ما هو الحقِ، ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم أو تأنيب متساهل مخذول مهين؛ وهو مما لا بدَّ منه لمن قام بواجب هذا الدينِ، فلم يحتملْ أهلُ الباطل أن يروا تصدُّرَ الحق وأهلَه، وقد صار لهم به صولةٌ وجولةٌ، فضاق ذرعُهم من سماعه، حتى بلغ حقدُهم الزُّبى؛ فراحوا يحيكون المكائد والتُّهم، ساعين بها بباب الولاة متذرعين بالنصح والإرشاد لصالح الدِّين!، وهيهات أن يكون ذلك منهم؛ لما هم عليه من السَّقم المبينِ، والحقد الدفين، لأهل الاستقامة السائرين على خطى المرسلين، المتبعين للحق على هدى سلفهم الأولين الذين شهدت لهم الأمة بالإمامة والورع والصلاح، فالقلوب إن صلحت صلح الجسد كلُّه، وإن فسدت فسد الجسد كلُّه، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ فيما صحَّ عنه، ونرى ذلك ـ يا سبحان الله ـ يتكرر في كل زمان ومكان؛ لأنَّ الحق واحد والباطل أيضاً واحد، فكل من أخذ بالحق وسبيله ونهض به عملاً ودعوة، حاربه دعاةُ الباطل وأهلُه في كل مكان وزمان، فنحن الآن قد ابتلينا بزمان هو كما قال

فيه ابن الفرغاني[1] ـ رحمه الله ـ: ابتلينا بزمان ليس فيه آدابُ الإسلام، ولا أخلاقُ الجاهلية، ولا أحلامُ ذوي المروءة.

فقمت بالاعتناء بهذا الأثر، وترجمت للمصنف مُعرِّفاً به، وقمت بالتعليق في بعض المواضع بما تدعو إليه الحاجة.

هذا، وأرجو من الله تبارك وتعالى القَبول، فإذا وفقت فيه للصواب، فالفضل لله سبحانه وله المنة، وإن كانت الأُخرى فأنا أرجو كل من يقف فيها على ما هو خطأ أن يرشدني إليه، والله تبارك وتعالى يتولى جزاءه، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه
عدنان بن حمود أبو زيد
بغداد
٣ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي: ٢٣٢.

ترجمة المؤلف

*** اسمهُ ولقبهُ ونسبهُ ومولدهُ:**

هو أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدَ الرّحْمنِ بنِ مَسْعود بنِ عُمَرَ، عمادُ الدِّين، أبو العَبّاسِ الواسطيّ الحزاميّ، المعروفُ بابنِ شيخ الحزاميين.

ولد في ذي الحِجّة سَنَةَ سَبْعٍ وخمسين وستمئة للهجرة بشرقي واسط.

*** نشأتهُ وشيوخهُ ورحلاتهُ وتلاميذه:**

نشأ ـ رحمه الله تعالى ـ في كنف أبيه، وكان أبوه شيخَ الطّائفة الأحمدية، فنشأ الشيخُ عمادُ الدين بينهم، وألهمه الله تعالى من صغره طلبَ الحقِّ ومحبتَّه، والنفورَ عن البدع وأهلِها، فاجتمعَ بالفقهاءِ بواسط كالشَّيخِ عزِّ الدين الفاروثي وغيرِه، وقرأ شيئاً من الفقه على مذهب الشافعي.

ثم دخل بغدادَ وصحبَ بها طوائفَ من الفقهاء، وحجَّ واجتمعَ بجماعة منهم، وأقامَ بالقاهرةِ مدّةً ببعض جوانبها وخالط طوائف الفقراء، ولم يسكنْ قلبُه إلى شيء من الطرِائق المحدثة، واجتمعَ بالاسكندرية بالطائفة الشّاذلية، فأخذ عنهم واقتفى طريقتهم.

ثم قدم دمشقَ فرأى الشّيخَ تقيّ الدّين ابن تيمية وصاحبَه، فدلّه على مطالعة السيرة النّبويّة، كان ذلك من فطنة شيخِ الإِسْلامِ وفراستِه، لأَنَّ مَنْ

يريدُ السّيَر في طريقِ السُّلوكِ والزُّهْد؛ فلا أزهد ولا أعدل من الطريقة النبوية، فأقبل على سيرة ابن إسحق ـ تلخيص ابن هشام ـ فلَّخصها واختصرها، وأقبل على مطالعة كتب الحديث والسنة والآثار، وتخلّى من جميع طرائقه وأذواقه وسلوكه، واقتفى أثر الرّسول ﷺ وهديَه وطرائقَه المأثورةَ عنه في كتب السُّنن والآثار، واعتنى بأمر السنة أصولاً وفروعاً، وتبوع في الرد على طوائف المبتدعة الذين خالطهم وعرفهم من الاتحادية وغيرهم، وبيّنَ عوراتِهم وكشفَ أستارَهم، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد، واختصر «الكافي» في مجلد سماه «البلغة»، وألف تآليف كثيرة في الطريقة النبوية، والسلوك الأثري المحمدي، وهي من أنفع كتب الصوفية للمريدين.

وكان له من الأتباع والطلاب الكثيرُ في كلِّ بلد ينزل فيه، ومن أشهرهم الحافظُ الذّهبي، وابنُ القَيّم، والبرزَاليُّ، وغيرُهم كثيرٌ، وانتفع به خلقٌ كثير من متصوفة أهل الحديثِ ومتعبديهم.

*** ثناء العلماء عليه ومآثره:**

قال ابنُ عبد الهادي في «العقود الدرية»[1]: كان رجلاً صالحاً ورعاً، كبير الشأن، منقطعاً إلى الله، متوفراً على العبادة والسُّلوك.

قال شيخُه تقيُّ الدين ابن تيمية في وصْفِه: هو جُنيد وقته.

وقال تلميذه البرزَالي في «معجمه»: صالحٌ عارف، صاحُب نسكٍ وعبادة، وانقطاع وعزوف عن الدنيا، وله كلامٌ متينٌ في التصوف الصّحيح، وكان داعية إلى طريق الله تعالى، وقلمه أبسط.

---

(١) ص ٣٠٦.

وقال ابن حجر في «**الدرر الكامنة**»[1]: تعبد وانقطع، وكان يرتزق من النّسخ، وخطُّه حَسَنٌ جداً، وله اختصارُ دلائل النبوة، وتسلك به جماعة، وكان يحط على الاتحادية، قال الذّهبي: تفقه وكتَبَ المنسوب، وتزهَّد وتجرَّد وتعبّد، وصنّفَ في السلوك، وشرحَ منازلَ السائرين، وكان مُنقبضاً عن الناس، حافظاً لوقته، لا يحبُّ **الخوانك**، تسلك به جماعة، وكان ذا وَرَعٍ وإخلاص، وله نَظْمٌ حَسَنٌ.

*** آثاره:**

كنت قد ذكرت ـ في مقدمة تحقيقي رسالة: «الاستواء والفوقية» له، جملة تتبعتها من آثاره التي اطلعت فيما وقع لي من مخطوط أو مطبوع، فذكرت له عنوانات ثمانية أثبتها هنا مع الذي تحصّل لي بعد ذلك، فأليك بها مع ما زدت عليها:

١ . اختصار دلائل النبوة، (الدرر الكامنة١/ ١٠٣).

٢ . اختصار السيرة النبوية، تهذيب ابن هشام، (شذرات الذهب ٣/ ٢٤).

٣. باشورة النصوص بهتك أستار الفصوص ـ فصوص الحكم لابن عربي ـ، وسماها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في شرح الكافية الشافية لابن القيم ص: ١٦٧، بـ: «أشعة النصوص»، وما أثبته هو ما موجود في الأصل المخطوط الذي لديّ صورته.

٤ . البلغة والإقناع في حل شبهة مسألة السماع، (كشف الظنون ١/ ٢٥٢).

٥ . البلغة، مختصر كتاب الكافي في فقه الحنابلة، (شذرات الذهب ٣/ ٤٢)، (كشف الظنون ١/ ٢٥٢).

---

(١) (١/ ١٠٣).

٦. التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار، (العقود الذرية: ٣٣٧)، وهي التي بين يديك.

٧. رسالة الاستواء والفوقية، نشرتْها مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، بتحقيقي.

٨. شرح منازل السائرين للهروي، لم يتمَّه، (الدرر الكامنة ١/ ١٠٣).

٩. مدخل الفقْهِ واللسانِ إلى ميدان المحبّة والعرفان، (معجم المؤلفين ١/ ١٣٩).

١٠. مفتاح طريق الأولياء وأهل الزهد من العلماء، (الأعلام١/ ٨٧)، ولعله نفس الكتاب الذي بعده، والله أعلم.

١١. مفتاح طريق المحبين وباب الأُنس برب العالمين المؤدي إلى أحوال المقربين، (إيضاح المكنون ٢/ ٥٢٥).

*** وفاته:**

توفي الشيخ عمادُ الدّين أحمد بن إبراهيم الواسطي ـ رحمه الله ـ في شهر ربيع الآخر سنة (٧١١هـ)، عن عمرٍ يناهز الأربع وخمسين سنةً بالمارستان الصغير بدمشق، وصُلّي عليه من الغد بالجامع، ودفن بسفحِ جبلِ قاسيونَ، قبالة زاوية السّيوفي[1].

* * *

(١) **مصادر الترجمة**: العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لابن عبد الهادي: ٣٠٦، الدرر الكامنة (١/ ١٠٣)، الرد الوافر: ٧١، شذرات الذهب (٣/ ٤٢)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٢٩٦)، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد (١/ ٧٣)، هدية العارفين (١/ ١٠٣)، الأعلام (١/ ٨٦)، معجم المؤلفين (١/ ١٣٩).

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التذكرة والاعتبار

والانتصار للأبرار

تأليف

الشيخ عماد الدين بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين

المتوفى سنة ٧١١ هـ

تحقيق وشرح وتعليق

عدنان أبو زيد



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله، وسبحان الله وبحمده، تقدّسَ في علُّوه وجلاله، وتعالى في صفات كماله، وتعاظم في سبحات فردانيته وجمالِه، وتكرّم في أفضاله وجمال نَواله، جلَّ أن يُمثّل بشيءٍ من مخلوقاته أو يحاطَ به، بل هو المحيطُ بمبتدعاته، لا تصورُّه الأوهامُ، ولا تقلّه الأجرامُ، ولا يَعْقِل كُنهَ ذاته البصائرُ ولا الأفهامُ.

الحمدُ لله مؤيّدِ الحقِّ وناصرِه، ودافعِ الباطل وكاسرِه، ومعزِّ الطائع وجابرِه، ومذلِّ الباغي وداثره، الذي سَعدَ بحظوة الاقترابِ من قُدْسِهِ، من قام بأعباءِ الاتباع في بنانه ورأسه، وفاز بمحبوبيتهِ في ميادين أُنسهِ من بذل ما يهواه في طلبه من قلبه وحسَهِ، وتثبت في مهامّهِ الشكوك مُنتظراً زوال لُبْسِهِ، سبحانه وبحمده له المثلُ الأعلى والنور الأَتمُّ الأجلى، والبرهان الظاهر في الشريعة المُثلى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، الذي شهدت لوحدانيته الفِطَرُ، وأسلم لربوبيته ذو العقل والنظر، وظهرَتْ أحكامُه في الآي والسور، وتَمَّ اقتدارُه في تنزل القدر.

وبعد: فهذه رسالة سطّرَها العبدُ الضّعيفُ الرّاجي رحمةَ ربِّه وغفرانَه وكرمَه وامتنانَه= **أحمد بن إبراهيم الواسطي** ـ عامله الله بما هو أهله ـ، فإنه

أهل التقوى وأهل المغفرة إلى إخوانه في الله السّادةِ العلماءِ، والأئمّةِ الأتقياء، ذوي العلم النافع، والقلب الخاشع، والنور الساطع، الذين كساهم الله كسوة الاتباع، وأرجو من كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع:

السّيدِ الأجلِّ العالمِ الفاضلِ فخرِ المحدثين ومصباحِ المتعبدين المتوجّهِ إلى ربِّ العالمين: تقيِّ الدّين أبي حفص عُمرَ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ الأَحَدِ بنِ شُقير(١).

والشّيخ الأَجَلِّ العالم الفَاضل السّالك النّاسكِ ذي العلم والعمل المُكتسي من الصفات الحميدة أجملَ الحُللِ: الشيخ شَمْسِ الدّين محمّدِ بنِ عبدِ الأحد الآمُدي.

والسّيدِ الأخِ العالم الفاضلِ السّالك النّاسِكِ التّقيِّ الصّالحِ الذي سيماءُ نورِ قلبهِ لائحٌ على صفحات وَجْهِهِ: شَرَفِ الدّينِ محمد ابن المنجا(٢).

---

(١) هو الشيخ الفاضل الصالح الخير، تقي الدين، أبو حفص عمر بن عبد الله بن عبد الأحد بن عبد الله بن سلامة بن خليفة بن شقير الحراني الحنبلي، المولود سنة ٦٦٦هـ، والمتوفى في جمادى الآخرة سنة ٧٤٤هـ، انظر الدرر الكامنة (٤/ ٢٠٣)، والرد الوافر: ١١٥.

(٢) هو الشيخ الفقيه الصالح مفتي المسلمين علم المدرسين شرف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي البركات المنجا ابن العز أبي عمرو عثمان ابن وجيه الدين أبي المعالي أسعد بن المنجا بن بركات بن المؤمل لتنوخي، المعري الأصل، ثم الدمشقي، ولد سنة ٦٧٥هـ، وسمع بإفادة والده الكثير من المسلم بن علان وطبقته، وتفقه وأفتى ودرس، وكان ذا صيانة وتقوى وديانة، من خواص أصحاب شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وملازميه حضراً وسفراً، توفي في رابع شوال سنة ٧٢٤هـ، ودفن بسفح قاسيون من دمشق، انظر الدرر الكامنة (٦/ ١٨)، الرد الوافر: ٦٠.

والسّيدِ الأخ الفقيه العالمِ النّبيلِ الفاضلِ فَخْرِ المُحصلين: زينِ الدّين عبدِ الرّحمنِ بن محمود بنِ عبيدان البَعْلَبكي[1].

والسيد الأخ العالم الفاضل السالك الناسك ذي اللُّب الرّاجح والعمل الصالح والسكينة الوافرة والفضيلة الغامرة: نورِ الدّين محمّدِ بنِ محمّدِ بنِ محمّدِ بن الصائغ[2].

وأخيه السيّدِ الأخ العالم التّقي الصالح الخير الدين العالم الثّقة الأمين الراجح ذي السمت الحسن والدين المتين في اتباع السنن: فخرِ الدّين محمّدٍ.

---

(١) هو الشيخ الفقيه الزاهد عبد الرحمن بن محمود بن عبيدان أبو الفرج زين الدين البعلي، ولد سنة ٦٧٥هـ، وسمع الحديث وتفقه على الشيخ تقي الدين ابن تيمية وغيره، وبرع وأفتى، وكان إماماً عارفاً بالفقه وغوامضه والأصول والحديث والعربية والتصوف، زاهداً عابداً ورعاً متألهاً ربانياً، صحب الشيخ عماد الدين الواسطي وتخرج به في السلوك، وصنف كتاباً في الأحكام على أبواب المقنع سماه: المطلع، وشرح قطعة من أول المقنع، وجمع زوائد المحرر على المقنع، وله كلام في التصوف وحدث بشيء من مصنفاته، وتوفي في منتصف صفر سنة ٧٣٤هـ ببعلبك ودفن بباب سطحا، انظر البداية والنهاية (١٤/ ١٦٨)، الدرر الكامنة (٣/ ١٣٩)، شذرات الذهب (٣/ ١٠٧)، (٣/ ٣٣٦).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٠)، فيمن توفي في سنة ٧٥٠هـ: «وفي يوم الأربعاء الخامس والعشرين من المحرم توفي صاحبنا الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد الناسك الخاشع ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن الصائغ الشافعي، مدرس العمادية، كان رحمه الله لديه فضائل كثيرة على طريقة السلف الصالح، وفيه عبادة كثيرة وتلاوة وقيام ليل وسكون حسن وخلق حسن، جاوز الأربعين بنحو من ثلاث سنين رحمه الله وأكرم مثواه»، انظر الدر الكامنة (٥/ ٤٩٥).

والأخ العزيز الصالح الطالب لطريق ربّه والراغب في مَرْضاته وحبّه العالم الفاضل الولد: شرفِ الدّينِ محمّدِ بنِ سَعْدِ الدين سعد الله ابن نجيح[1].

وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام الأُمة الهمام، محيي السنة، وقامع البدعة، ناصر الحديث، مفتي الفرق الفائق عن الحقائق، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضي بالحق ظاهراً وقلبه في العُلى قاطن، أنموذج الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين غابت عن القلوب سيرهم، ونسيت الأُمة حذوهم وسُبُلهم، فذكرهم بها الشيخ؛ فكان في دَارس

---

(١) هو الشيخ العالم الفقيه العابد الناسك شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ سعد الدين أبي محمد سعد الله بن عبد الأحد بن سعد الله ابن عبد القاهر بن عبد الواحد بن عمر الحراني بن نجيح، سمع من أبي الحسن علي ابن البخاري وآخرين، وتفقه بجماعة منهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وأذن له في الإفتاء فأفتى، وكان من خيار المسلمين، توفي بوادي بني سالم بين الحرمين بعد فراغه من الحج، فحمل إلى المدينة الشريفة ودفن بالبقيع في سنة ٧٢٣هـ، وكان للشيخ تقي الدين من جملة ملازميه والخدام، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/ ١١٠): «وقد كان شرف الدين ابن نجيح هذا قد صحب شيخنا العلامة تقي الدين ابن تيمية، وكان معه في مواطن كبار صعبة، لا يستطيع الإقدام عليها إلا الأبطالُ الخُلّصُ الخواص، وسجن معه، وكان من أكبر خدامه وخواص أصحابه، ينال فيه الأذى، وأُوذي بسببه مرات وكل ما له في ازدياد محبة فيه وصبراً على أذى أعدائه، وقد كان هذا الرجلُ في نفسه وعند الناس جيداً، مشكور السيرة، جيد العقل والفهم، عظيم الديانة والزهد، ولهذا كانت عاقبته هذه الموتةَ عقيْبَ الحَجِّ، وصُلّي عليه بروضة مسجد رسول الله ﷺ ودفن بالبقيع بقيع الغرقد بالمدينة النبوية، فختم له بصالح عمله»، انظر الرد الوافر: ٤٥، شذرات الذهب (٣/ ٦١).

نهجهم سالكاً، ولموات حذوهم مُحيياً، ولأعنة قواعدهم مالكاً؛ الشيخ الإمام: **تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية** أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العُلى درجته، وأدام توفيق السادة المبدوء بذكرهم وتسديدهم، وأجزل لهم حظهم ومزيدهم.

السلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته

جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قرع نوائب الحق جأشُه، واحتسب لله ما بذله من نفسه في إقامة دينه، وما احتوشته من ذلك وحاشه، واحتذى حَذْوَ السبق الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين لم تأخذهم في الله لومة لائم، فما ضرَّهم من خذلهم ولا من خالفهم مع قلة عددهم في أول الأمر، فكانوا مع ذلك كلٌّ منهم مجاهدٌ بدين الله قائم، ونرجو من كرم الله تعالى أن يوفقنا لأعمالهم، ويرزق قلوبنا قسطاً من أحوالهم، وينظمنا في سلكهم، تحت سِجْفتهم[1] ولوائهم مع قائدهم وإمامهم سيد المرسلين وإمام المتقين محمّدٍ صلواتُ الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أذكركم ـ رحمكم الله ـ بما أنتم به عالمون، عملاً بقوله تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وأبدأ من ذلك بأن أُوصي نفسي وإياكم بتقوى الله، وهي وصية الله تعالى إلينا وإلى الأُمم من قبلنا كما بين سبحانه وتعالى قائلاً وموصياً ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: من الآية١٣١]، وقد علمتم تفاصيل التقوى على الجوارح والقلوب بحسب الأوقات والأحوال من الأقوال والأعمال والإرادات والنيات، وينبغي لنا

(١) السَّجْف الستر، انظر اللسان مادة: سجف.

جميعاً أن لا نقنع من الأعمال بصورها، حتى نُطالبَ قلوبنا بين يدي الله تعالى بحقائقها، ومع ذلك فلتكن لنا همّةٌ علوية تترامى إلى أوطان القُرب ونفحات المحبوبية والحب، فالسعيد من حَظي من ذلك بنصيب، وكان مولاه منه على سائر الأحوال قريباً بخصوص التقريب منه، فيكتسي العبدُ من ذلك ثمرةَ الخشية والتعظيم للعزيز العظيم، فالحبُّ والخشيةُ ثابتان في الكتاب العزيز والسنة المأثورة، قال تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: من الآية٥٤]، [وقال تعالى] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: من الآية١٦٥]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: من الآية٢٨].

وفي الحديث: «أسألك حبَّك، وحبَّ من أحبَّك، وحبَّ عَمَلٍ يقرِّبني إلى حبِّك»[(١)].

---

(١) **حديث صحيح**: أخرجه الإمام أحمد (٥/٢٤٣)، والترمذي (٣٢٣٥)، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح، حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً، فثوب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ وتجوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته، قال لنا: «على مصافكم كما أنتم»، ثم انفتل إلينا، ثم قال: «أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي، حتى استثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيكَ ربِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، قالها ثلاثاً، قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي، حتى وجدت برد أنامله بين ثديي، فتجلى لي كل شيء، وعرفت، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: الكفارات، قال: ما هُنَّ؟ قلت: مشي الأقدام إلى الحسنات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات، قال: فيمَ؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام، قال: سل، قلت: اللهم إني أسألك فعلَ الخيرات، وتركَ المنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفرَ لي وترحمَني، وإذا أردت فتنةَ قومٍ فتوفني غيرَ مفتونٍ، =

وفي الحديث: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولخرجتم إلى الصّعدات تجأَرون إلى الله»[1].

ومعلوم أن الناس يتفاوتون في مقامات الحب والخشية في مقام أعلى من مقام، ونصيبٍ أرفعَ من نصيب، فلتكن همّةُ أحدنا من مقامات الحب والخشية أعلاه، ولا يقنع إلا بذروته وذراه، فالهممُ القصيرةُ تقنعُ بأيسرِ نصيبٍ، والهممُ العليّةُ تعلو مع الأنفاس إلى قريب الحبيب، لا يشغلُنا عن ذلك ما هو دونه من الفضائل، والعاقلُ لا يقنع بأمر مفضول عن حالٍ فاضل، ولتكنِ الهمّةُ منقسمةً على نيل المراتب الظاهرة وتحصيلِ المقامات الباطنة، فليس من الإنصاف الانصبابُ إلى الظواهر، والتشاغلُ عن المطالبِ العلوية ذوات الأنوار البواهر، وليكنْ لنا جميعاً بين الليل والنهار ساعةٌ نخلو فيها بربنا جل اسمُه وتعالى قدسُه، نجمع بين يديه في تلك الساعة هومَنا، ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا، فنزهد فيما سوى الله ساعةً من نهار، فبذلك يعرف الإنسان حالَه مع ربّه، فمن كان له مع ربه حالٌ تحركت في تلك الساعةِ عزائمهُ، وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائرُه، وطارت إلى العلى زفراتُه وكوامنُه.

= أسألُكَ حبّك، وحبَّ من يحبُّك، وحبَّ عَمَلٍ يقربِّ إلى حبك»، قال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها، ثم تعلموها».

(١) **حديث صحيح**: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٧٣)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله».

وتلك الساعة أنموذجٌ لحالةِ العبدِ في قبره حين خلوه عن ماله وحبه، فمن لم يُخْلِ قلبَه لله ساعة من نهار لما احتوشَهُ من الهموم الدنيوية وذوات الآصار؛ فليعلم أنه ليس له ثّمةَ رابطةٌ علويةٌ، ولا نصيبٌ من المحبَّةِ ولا المحبوبية، فليبك على نفسه، ولا يرضى منها إلا بنصيب من قرب ربِّه وأنسه؛ فإذا حُصِّلَتْ لله تلك الساعةُ أمكن إيقاع الصلوات الخمس على نمطها من الحضور والخشوع والهيبة للرب العظيم في السجود والركوع، فلا ينبغي لنا أن نبخلَ على أنفسنا في اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار نعبدُه فيها حقَّ عبادته.

ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النَّهجِ في رعايته وذلك طريق لنا جميعاً إن شاء الله تعالى إلى النفوذ، فالفقيه إذا لم ينفذ في علمه حصلَ له الشَّطْرُ الظّاهر، وفاته الشطرُ الباطنُ لاتصافِ قلبه بالجمود، وبعده في العبادة والتلاوة عن لين القلوب والجلود كما قال تعالى ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: من الآية٢٣]، وبذلك يرتقي الفقيه عن فقهاء عصرنا، ويتميز به عنهم، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنورة، والذوق الصحيح، والفراسة الصادقة، والمعرفة التامة، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها، ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصيةُ، وأبصرَ بعضَ الأشياء وغابَ عنه بعضُها.

فيتعينُ علينا جميعاً طلبُ النفوذ إلى حضرة قرب المعبود ولقائه بذوق الإيقان؛ لنعبدَه كأننا نراه كما جاء في الحديث[1]، وبعد ذلك الحظوة في

(١) يشير إلى حديث: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم»، الذي أخرجه البخاري (٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٨)، (٩)، عن عمر وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما.

هذه الدار بلقاءِ رسول الله ﷺ غيباً في غيب، وسراً في سر بالعكوف على معرفة أيامه وسنَنِهِ واتباعها، فتبقى البصيرة شاخصة إليه تراه عياناً في الغيب كأنها معه، وفي أيامه؛ فيجاهد على دينه ويبذل ما استطاع من نفسه في نصرته، وكذلك من سلك في طريق النفوذ يُرجى له أن يلقى ربه بقلبه غيباً في غيب وسراً في سر، فيرزقَ القلب قسطاً من المحبة والخشية والتعظيم اليقيني، فيرى الحقائقَ بقلبه من وراءِ سترٍ رقيق، وذلك هو المعبَّرُ عنه بالنفوذ، ويصل إلى قلبه من وراء ذلك السّترِ ما يغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال، فيتنور العلم الذي اكتسبه العبد، ويبقى له كيفيةٌ أُخرى زائدة على الكيفية المعهودة من البهجة والأنوار والقوة في الإعلان والإسرار، فلا ينبغي لنا أن نتشاغلَ عن نيل هذه الموهبةِ السَّنية بشواغل الدنيا وهمومها، فننقطع بذلك كما تقدم بالشيء المفضول عن الأمر المهم الفاضل؛ فإذا سلكنا في ذلك بُرهة من الزمان ورزقنا الله تعالى نفوذاً وتمكنا في ذلك النفوذ، فلا تعود هذه العوارضُ الجزئيات الكونيات تؤثر فينا إن شاء الله تعالى.

وليكن شأنَ أحدِنا اليوم التعديلُ بين المصالح الدنيوية والفضائل العلمية والتوجهات القلبية، ولا يقنع أحدُنا بأحد هذه الثلاثةِ عن الآخرين، فيفوتَه المطلوب، ومتى اجتهد في التعديل فإنه ـ إن شاء الله تعالى ـ بقدر ما يحصل للعبد جزء من أحدهم حصل جُزءاً من الآخر، ثم ـ بالصبر على ذلك ـ تجتمع الأجزاء المحصلة، فتصير مرتبة عالية عند النهاية إن شاء الله تعالى، هذا وإن كنتم ـ أيدكم الله تعالى ـ بذلك عالمين، لكن الذكرى تنفع المؤمنين.

* * *

فصل

واعلموا ـ أيدكم الله ـ أنه يجبُ عليكم أن تشكروا ربكم تعالى في هذا العصر حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء في الحيوان الأسود، لكن من لم يسافرْ إلى الأقطار، ولم يتعرّفْ أحوالَ الناس = لا يدري قَدْرَ ما هو فيه من العافية، فأنتم ـ إن شاء الله تعالى ـ في حق هذه الأمة الأولى كما قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية١١٠]، وكما قال تعالى ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

أصبحتم إخواني تحت سنجق[1] رسول الله ﷺ ـ إن شاء الله تعالى ـ مع شيخكم وإمامكم وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره رضي الله عنه قد تميزتم عن جميع أهل الأرض فقهائها وفقرائها وصوفيتها وعوامها بالدّين الصحيح، وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث في الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فأنتم اليوم في مقابلة الجهمية من الفقهاء، نصرتم الله ورسوله في حفظ ما أضاعوه من دين الله، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل

(١) يقصد: أصبحتهم تحت راية رسول الله ﷺ، فالسنجق كلمة أعجمية معناها: الراية، انظر تاريخ ابن خلدون (١/ ٢٦٠).

صفات الله، وأنتم أيضاً في مقابلة من لم ينفذ في علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ، وجمد على مجرَّدِ تقليد الأئمة، فإنكم قد نصرتم الله ورسوله في تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة، واتحاد أقوالِ الأئمّة، تأسياً بهم لا تقليداً لهم، وأنتم أيضاً في مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية[1] والحريرية، من إظهار شعار المُكَاءِ والتّصْديةِ،

---

(١) وهم قوم من الطرقية أهل الأحوال اللاشرعية، يزعمون أنهم على طريقة الشيخ أحمد الرفاعي الذي ترجمه الذهبي في العبر (٤/ ٢٣٣): بقوله «الزاهد القدوة أبو العباس بن علي بن أحمد، كان أبوه قد نزل البطائح بالعراق بقرية أم عبيدة، فتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد، فولد له الشيخ أحمد في سنة خمس مئة، وتفقه قليلاً على مذهب الشافعي، وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة والذل والانكسار والإزراء على نفسه وسلامة الباطن، ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران، وركوب السباع، واللعب بالحيات، وهذا مراجعة أ. المحقق عرفه الشيخ، ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان»، وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية في وقته له معهم صولة وجولة، حيث بين دجلهم وتلبيسهم وأحوالهم الشيطانية، وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/ ٣٦): «وفي يوم السبت تاسع جمادى الأولى حضر جماعة كثيرة من الفقراء الأحمدية إلى نائب السلطنة بالقصر الأبلق، وحضر الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فسألوا من نائب السلطنة بحضرة الأمراء أن يكف الشيخ تقي الدين إمارته عنهم، وأن يسلم لهم حالهم، فقال لهم الشيخ: هذا ما يمكن، ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولاً وفعلاً، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه، فأرادوا أن يفعلوا شيئاً من أحوالهم الشيطانية التي يتعاطونها في سماعاتهم، فقال الشيخ: تلك أحوال شيطانية باطلة، وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان، ومن أراد منهم أن يدخل النار، فليدخل أولاً إلى الحمام وليغسل جسده غسلاً جيداً ويدلكه بالخل والأشنان، ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقاً، ولو فرض أن أحداً من أهل البدع دخل النار بعد أن يغتسل، فإن=

ومؤاخاة النّساءِ والصّبيان[1]، والإعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم في صائب حركاتهم وخطائها، وإعراضهم عن دين الله الذي أنزله من السماء، فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنفَ أيضاً كما تجاهدون من سبق، حفظتم من دين الله ما أضاعوه، وعرفتم ما جهلوه، تُقوّمون من الدين ما عوجوه، وتُصلحون منه ما أفسدوه، وأنتم أيضاً في مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية والآصار الابتداعية من التصنع باللباس والإطراق والسجادة لنيل الرزق من المعلوم، ولبس البقيار والأكمام الواسعة في حضرة الدرس، وتنميق الكلام والعدو بين يدي المدرس راكعين حفظاً

= ذلك لا يدل على صلاحه ولا على كرامته، بل حالة من أحوال الدجاجلة المخالفة للشريعة، إذا كان صاحبها على السنة؟ فما الظن بخلاف ذلك! فابتدر شيخ المنيبع الشيخ صالح، وقال: نحن أحوالنا إنما تنفق عند التتر؛ ليست تنفق عند الشرع، فضبط الحاضرون عليه تلك الكلمة، وكثر الإنكار عليهم من كل أحد، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون أطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه، وصنف الشيخ جزءاً في طريقة الأحمدية، وبين فيه أحوالهم ومسالكهم وتخيلاتهم، وما في طريقتهم من مقبول ومردود بالكتاب وأظهر الله السنة على يديه وأخمد بدعتهم، ولله الحمد والمنة».

(١) نقل أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية: ١٩٠، قول الشيخ يوسف بن الحسين الرازي إنه قال: «نظرت في آفات الخلق فعرفت من أين أتوا، ورأيت آفة الصوفية في: صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، وأرفاق النسوان»، ونقل أيضاً في ص: ٢٣٢، عن أبي سعيد الخراز إنه قال: «رأيت إبليس في النوم، وهو يمر عني ناحية، فقلت له: تعال، فقال: أيش أعمل بكم أنتم طرحتم من نفوسكم ما أخادع به الناس، قلت: ما هو؟ قال: الدنيا، فلما ولى عني التفت إلي، وقال: غير أنّ لي فيكم لطيفةً؟ قلت ما هي؟ قال: صحبة الأحداث، قال أبو سعيد: وقل من يتخلص من هذا من الصوفية».

للمناصب، واستجلاباً للرزق والإدرار، فخلط هؤلاء في عبادة الله غيره، وتألهوا سواه، ففسدت قلوبُهم من حيث لا يشعرون، يجتمعون لغير الله، بل للمعلوم ويلبسون للمعلوم، وكذلك في أغلبِ حركاتهم يراعون ولاة المعلوم، فضيَّعوا كثيراً من دين الله وأماتوه، وحفظتم أنتم ما ضيّعوه، وقوّمتم ما عوجوه، وكذلك أنتم في مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد، وتأله المخلوقات كاليونسية والعربية[1] والصدرية والسبعينية والتِّلمسانية، فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلبوه، وأعرضوا عن شريعة رسول الله، فاليونسية يتألهون شيخَهم ويجعلونه مظهراً للحقِّ، ويستهينون بالعبادات، ويظهرون بالفرعنة والصولة والسفاهة والمحالات لما وقر في بواطنهم من الخيالات الفاسدة، وقبلتهم الشيخ يونس، ورسول الله والقرآن المجيد عنهم بمعزل يؤمنون به بألسنتهم ويكفرون به بأفعالهم، وكذلك الاتحادية يجعلون الوجود مظهراً للحق باعتبار أن لا متحرك في السكون سواه، ولا ناطق في الأشخاص غيره، وفيهم من لا يفرق بين الظّاهر والمظهر، فيجعل الأمرَ كموج البحر، فلا يفرق بين عين الموجة وبين عين البحر، حتى إنَّ أحدهم يتوهم أنه الله ! فينطق على لسانه، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصي لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية، فَمَنِ العابدُ؟ ومن المعبودُ؟ صار الكل واحداً ؟ ! اجتمعنا بهذا الصّنفِ في الربط والزوايا.

---

(١) وللشيخ عماد الدين الواسطي صاحب هذه الرسالة؛ رسالة في الرد على ابن عربي، فيما قاله في الفصوص، هتك بها استاره وبين عواره، وكشف ضلاله؛ اسماها: باشورة النصوص في هتك أستار الفصوص، ولدي منها نسخة، يسر الله تعالى إتمامها.

فأنتم بحمد الله قائمون في وجه هؤلاء أيضاً تنصرون الله ورسوله وتذبُّون عن دينه، وتعملون على إصلاح ما أفسدوا، وعلى تقويم ما عوجوا، فإن هؤلاء محوا رسم الدين، وقلعوا أثره، فلا يقال أفسدوا ولا عوجوا، بل بالغوا في هدم الدين ومحوا أثره، ولا قربة أفضل عند الله من القيام بجهادِ هَؤلاء بمهما أمكن، وتبيين مذاهبهم للخاصِّ والعام، وكذلك جهاد كلٍّ من ألحد في دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته كائناً في ذلك ما كان من فتنة وقول، كما قيل:

إذا رَضِي الحبيبُ فلا أُبالي ... أقامَ الحيُّ أم جدَّ الرحيلُ

وبالله المستعان، وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله بما أمكن، وذلك لبعد العهدِ عن رسول الله ﷺ لأن اليوم له سبع مئة سنة، فأنتم بحمد الله تجددون ما دَثر من ذلك ودُثِر، وكذلك أنتم بحمد الله قائمون في وجوه العامة مما أحدثوا من تعظيم الميلادة، والقلندس، وخميس البيض، والشعانين، وتقبيل القبور والأحجار والتوسل عندها، ومعلوم أن ذلك كلَّه من شعائر النصارى، والجاهلية، وإنما بعث رسول الله ﷺ ليَوحد الله ويعبد وحده ولا يأله معه شيء من مخلوقاته، بعثه الله تعالى ناسخاً لجميع الشرائع والأديان والأعياد، فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك، وقائمون في وجوه من ينصر هذه البدع من مارقي الفقهاء أهلِ الكيد والضرار لأولياء الله أهل المقاصد الفاسدة، والقلوب التي هي عن نصر الحق حائدة، وإنما أعرض هذا الضعيفُ عن ذكر قيامكم في وجوه التتر، والنصارى، واليهود، والرافضة، والمعتزلة، والقدرية، وأصناف أهل البدع والضلالات؛ لأن

الناس متفقون على ذمهم، يزعمون أنهم قائمون بردٍّ بدعتهم، ولا يقومون بتوفية حقِّ الرد عليهم كما تقومون، بل يعلمونَ ويجبنون عن اللقاء، فلا يجاهدون، وتأخذهم في الله اللائمةُ لحفظِ مناصبهم، وإبقاءً على أعراضهم.

سافرنا البلاد فلم نرَ من يقوم بدين الله في وجوه مثل هؤلاءِ حقَّ القيامِ سواكم، فأنتم القائمون في وجوه هؤلاءِ ـ إن شاء الله ـ بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا ـ أيده الله ـ حقَّ القيام، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك، فصبراً يا إخواني على ما أقامكم الله فيه من نصرة دينه، وتقويم اعوجاجه، وخذلان أعدائه، واستعينوا بالله ولا تأخذكم فيه لومةُ لائم، وإنما هي أيامٌ قلائلُ والدين منصور، قد تولى الله إقامتَه ونصره، ونصرة من قام به من أوليائه ـ إن شاء الله ـ ظاهراً وباطناً، وابذلوا فيما أقمتم فيه ما أمكنكم من الأنفس والأموال والأفعال والأقوال، عسى أن تلحقوا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله ﷺ فلقد عرفتم ما لقوا في ذات الله كما قال خُبَيبٌ رضي الله عنه حين صُلب على الجذع:

وذلكَ في ذاتِ الإلَهِ وإن يَشَأْ   يُبارِكْ على أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[1]

وقد عرفتم ما لقي رسول الله ﷺ من الضّرِّ والفَاقةِ في شِعْبِ بني هاشم، وما لقي السابقون الأولون من التعذيب والهجرة إلى الحبشة، وما لقي المهاجرون والأنصار في أحد، وفي بئر معونة، وفي قتال أهل الرِّدة، وفي جهاد الشام والعراق وغير ذلك، وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله

(١) الشلو والشلا: الجلد والجسد من كل شيء، وكلُّ مسلوخة أُكل منها شيء، فبقيتها شلو، انظر اللسان، مادة: شلا.

حُباً له وشوقاً إليه، فكذلك أنتم ـ رحمكم الله ـ كلٌّ منكم على قدر إمكانه واستطاعته بفعله، وبقوله، وبخطه، وبقلبه، وبدعائه، كل ذلك جهاد، أرجو أن لا يخيب مَنْ عامَلَ الله بشيء من ذلك؛ إذ لا عيشَ إلا في ذلك، ولو لم يكن فيه إلا همُكم مُزاحمة لأهل الزيغ مشوشة لهم تبغضونهم في الله، وتطلبون استقامتهم في دين الله، وذلك من الجهاد الباطن إن شاء الله تعالى.



فصل

ثم اعرفوا إخواني حَقَّ ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك، واعرفوا طريقكم إلى ذلك واشكروا الله تعالى عليها، وهو أن أقام لكم ولنا في هذا العصرِ مَثْلَ سيّدنا الشيخ الذي فتح الله به أقفالَ القُلوبِ وكَشَفَ به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات، حيث تاه العقِلُ بين هذه الفِرَقِ ولم يهتدِ إلى حقيقة دينِ الرّسول ﷺ ومن العَجَبِ أن كُلاً منهم يدعي أنّه على دين الرّسُول ﷺ حتى كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجلِ عن حقيقة دينه الذي أنزلَه من السَّماء وارتضاه لعباده.

واعلموا أن في آفاق الدنيا أقواماً يعيشون أعمارَهم بين هذه الفرقِ يعتقدون أن تلك البدعَ حقيقةُ الإسْلام، فلا يعرفون الإِسْلامَ إلا هكذا، فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبع مئة من الهجرة من بين لكم أعلام دينكم، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته، وبين لكم بهذا النور المحمدي ضلالات العباد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم، والصحيح من السقيم، وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة الذين لا يضرهم من خَذَلهم ولا من خالفهم، وهم بالشام إن شاء الله تعالى.

* * *

فصل

ثم إذا علمتم ذلك، فاعرفوا حقَّ هذا الرجلِ الذي هو بين أظهركم، ولا يعرف حقَّه وقَدْرَه إلا مَنْ عرف دين الرسول ﷺ وحقّه وقدرَه، فمن وَقَعَ دينُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قلبه بموقع يستحقهم عرف حقَّ ما قام به هذا الرجلِ بين أظهر عباد الله، يُقوّم معوجهم، ويصلحُ فسادهم، ويلمُّ شعثَهم جَهْدَ إمكانه في الزمان المظلم الذي انحرف فيه الدين، وجُهِلت السنن، وَعُهِدت البدع، وصار المعروف مُنكراً والمنكر معروفاً، والقابض على دينه كالقابض على الجمر[1]؛ فإن أجر من قام بإظهار هذا النورِ في هذه الظلمات لا يوصف، وخطرُه لا يعرَفُ، هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية الأمر الشرعي الظاهر، فهنا قوم عرفوه من حيثية أُخرى من الأمر الباطن، ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وعظمة ذاته، واتصال قلبه بأشعة أنوارها، والاحتظاء من خصائصها وأعلى أذواقها، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن، ومن الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى

---

(١) أخرج الترمذي (٢٢٦٠) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»، وقال العلامة الألباني في الصحيحة (٩٥٧): صحيح بشواهده الكثيرة.

الشهادة، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر، وغيرِ ذلك مما لا يمكن شرحُه في كتاب.

فشيخكم ـ أيدكم الله تعالى ـ عارفٌ بذلك، عارف بأحكام الله الشرعية، عارف بأحكامه القدرية، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية، ومثل هذا العارفِ قد يبصر ببصيرته تنزُّلَ الأمر بين طبقات السماء والأرض كما قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢]، فالناس يحسُّون بما يجري في عالم الشهادة، وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب ينتظرون ما تجري به الأقدارُ، يشعرون بها أحياناً عند تنزُّلها، فلا تهونوا أمر مثل هؤلاء في انبساطهم مع الخلق، واشتغال أوقاتهم بهم، فإنهم كما حُكِيَ عن الجنيد ـ رحمه الله ـ أنه قيل له: كم تُنادي على الله تعالى بين الخلق ؟ فقال: أنا أُنادي على الخلق بين يدي الله.

فاللهَ اللهَ في حفظ الأدب معه، والانفعالِ لأوامره، وحفظِ حُرماته في الغيب والشهادة، وحبِّ من أحبَّه، ومجانبة من أبغضه وتنقصه، ورد غيبته، والانتصار له في الحق، واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن هنا من سافر إلى الأقاليم، وعرف الناسَ وأذواقهَم، وأشرفَ على غالبِ أحوالهم.

فوالله ثم والله ثم والله لم يُرَ تحت أديم السماء مثلُ شيخكم عِلماً وعملاً وحالاً وخُلقاً واتباعاً وكرماً وحِلماً في حق نفسه، وقِياماً في حق الله عند انتهاك حُرماته، أصدق الناس عقداً، وأصحهم علماً وعزماً، وأنفذهم وأعلاهم في انتصار الحق، وقيامه همة، وأسخاهم كفا، وأكملهم اتباعاً لنبيه محمد ﷺ، ما رأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة المحمدية

وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة.

وبعد ذلك كلِّه فقول الحق فريضة، فلا ندعي فيه العصمة عن الخطأ، ولا ندعي إكماله لغايات الخصائص المطلوبة، فقد يكون في بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة لا يتمُّ الكمال إلا بهاتيك الخصوصية، وهذا القدر لا يجهله منصف عارف، ولولا أَنَّ قول الحق فريضة والتعصب للإنسان هوًى، لأعرضت عن ذكر هذا لكن يجب قول الحق إن ساء أو سر والله المستعان.

إذا علمتم ذلك ـ أيدكم الله تعالى ـ، فاحفظوا قلبه، فإن مثل هذا قد يُدعى عظيماً في ملكوت السماء، واعملوا على رضاه بكلِّ ممكن، واستجلبوا ودَّه لكم، وحبَّه إياكم بمهما قدرتم عليه، فإن مثل هذا يكون شهيداً، والشهداء في العصر تبع لمثله؛ فإن حصلت لكم محبته؛ رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها، وربما يفطن لها الأذكياءُ منكم، وربما سمحت نفسي بذكرها كيلا أكتمَ عنكم نصحي، وتلك الخصوصية هي أن ترزقوا قسطاً من نصيبه الخاص المحمدي مع الله تعالى، فإن ذلك إنما يسري بواسطة محبة الشيخ للمريد، واستجلاب المريد محبة الشيخ بتأتيه معه، وحفظ قلبه وخاطره، واستجلاب ودِّه ومحبته، فأرجو بذلك لكم قسطاً مما بينه وبين الله تعالى، فضلاً عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته إن شاء الله تعالى.

وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم تعالى بصحيح المعاملة بحفظ تلك الساعة في الصلوات الخمس والتهجد = أن ينفتحَ لكم معرفةُ حقيقةِ هذا الرجل، ونبأه إن شاء الله تعالى، وإنما ذكرت حفظ الساعة ـ وإن كان

في الصلوات الخمس كفاية إذَا قام العبد فيها لحق الله تعالى ـ؛ وذلك لأن الصلوات قد تهجّم على العبد وقلبه مأخوذ في جواذب الظاهر، فلا يعرف نصيب قلبه من ربه فيها، فإذا كان للعبد ساعةٌ بينَ الليل والنهار عرف فيها نصيب قلبه من ربه، فإذا جاءتِ الصَّلوات عرف فيها حالَه وزيادتَه ونقصانه باعتبار حالته مع ربه في تلك الساعة، وبالله المستعان.

* * *

فصل

وإذا عرفتم قَدْر دينِ الله تعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ وعرفتم قدر حقائق الدين الذي يعبر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى والحظوة بقربه، ثم عرفتم اجتماع الأمرين في شخص معين، ثم عرفتم انحراف الأُمة عن الصراط المستقيم، وقيام الرجل المعين الجامع للظاهر والباطن في وجوه المنحرفين بنصر الله تعالى ودينه، وَيُقَوّم مِعْوَجهُم ويلمُّ شَعثهم، ويُصلح فاسدهم، ثم سمعتم بعد ذلك طعن طاعن عليه من أصحابه أو من غيرهم، فإنه لا يخفى عنك محق هو أو مبطل إن شاء الله.

وبرهان ذلك: أن المحق طالب الهدى والحق بغرض عند من أنكر عليه ذلك الفعل الذي أنكره، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام بالتلَطُّف عن ذلك النقص الذي رآه فيه أو بلغه عنه؛ فإن وجد هناك اجتهاداً أو رأياً أو حجة قنع بذلك وأمسك، ولم يُفْشِ ذلك إلى غيره إلا مع إقامة ما بينه من الاجتهاد أو الرأي أو الحجة ليسد الخلل بذلك، فمثل هذا يكون طالب هُدًى مُحباً ناصحاً يطلب الحق ويروم تقويم أُستاذه عن انحرافه بتعريفه وتقويضه[1]، كما يروم أستاذه تقويمه كما قال بعض الخلفاء الراشدين ـ ولا يحضرني اسمه[2] ـ: إذا اعوججْتُ فقوّموني.

---

(١) تقويضه، من قوض البناء، أي: نقضه من غير هدم، انظر اللسان مادة: قوض.

(٢) القائل هو أبو بكر رضي الله عنه، قالها بعد مبايعته بالخلافة، فقال بعد أن =

فهذا حق واجب بين الأستاذ والطالب؛ فإن الأستاذ يطلبُ إقامةَ الحقِّ على نفسه ليقومَ به ويتهم نفسه أحياناً، ويتعرف أحواله من غيره مما عنده من النصفة وطلب الحق والحذر من الباطل، كما يطلب المريد ذلك من شيخه من التقويم وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال، ومن براهين المحق أن يكون عدلاً في مدحه، عدلاً في ذمه، لا يحمله الهوى عند وجود المراد على الإفراط في المدح، ولا يحمله الهوى عند تعذر المقصود على نسيان الفضائل والمناقب وتعديد المساوىء والمثالب، فالمحق في حالتي غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه وأثنى عليه، ثابت على ذم من ثَلَبه وحطَّ عليه.

وأما من عمل كراسة في عَدِّ مثالب هذا الرجلِ القائم بهذه الصفات الكاملة بين أصناف هذا العالم المنحرف في هذا الزمان المظلم، ثم ذكر مع ذلك شيئاً من فضائله، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل بل المقصود تلك المثالب، ثم أخذ الكراسة يقرؤها على أصحابه واحداً واحداً في خلوة

= حمد الله تعالى وأثنى عليه، أما بعد: أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي، حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي، حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع في قوم قط الفاحشة إلا عمّهم اللهُ بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٢٤٨): «وهذا إسناد صحيح، فقوله رضي الله عنه: وليتكم ولست بخيركم، من باب الهضم والتواضع؛ فإنهم مجمعون على أنه أفضلهم وخيرهم رضي الله عنه».

يوقف بذلك همهم عن شيخهم ويُريهم قدحاً فيه؛ فإني أستخير الله تعالى وأجتهد رأيي في مثل هذا الرجل، وأقول انتصاراً لمن ينصر دين الله بين أعداء الله في رأس السبع مئة، فإن نصرة مثل هذا الرجل واجبة على كل مؤمن كما قال ورقةُ بنُ نَوْفل: لئن أدركني يومك لأنصرنَّك نصراً مؤزراً.

ثم أسأل الله تعالى العصمة فيما أقول عن تعدّي الحدود، والإخلاد إلى الهوى؛ أقول:

مثل هذا، ولا أعين الشخص المذكور بعينه لا يخلو من أمور:

أحدها: أن يكون ذا سن، تغير رأيه لسنه، لا بمعنى أنه اضطرب، بل بمعنى أن السن إذا كبر يجتهد صاحبه للحق، ثم يضعه في غير مواضعه، مثلاً يجتهد أن إنكار المنكر واجب؛ وهذا منكر، وصاحبه قد راج على الناس، فيجب عليَّ تعريف الناس ما راج عليهم، وتغيب عليه المفاسد في ذلك، فمنها:

تخذيل الطلبة، وهم مضطرون إلى محبّةِ شيخهم ليأخذوا عنه، فمتى تغيرت قلوبهم عليه، ورأوا فيه نقصاً حُرموا فوائده الظاهرة والباطنة، وخيف عليهم المقت من الله أولاً، ثم من الشيخ ثانياً.

المفسدة الثانية: إذا شعر أهل البدع الذين نحن وشيخنا قائمون الليل والنهار بالجهاد والتوجه في وجوههم لنصرة الحق أن في أصحابنا من ثَلَبَ رئيس القوم بمثل هذا؛ فإنهم يتطرقون بذلك إلى الاشتفاء من أهل الحق، ويجعلونه حجة لهم.

المفسدة الثالثة: تعديد المثالب في مقابلة ما يستغرقها ويزيد عليها بأضعاف كثيرة من المناقب؛ فإن ذلك ظلم وجهل.

والأمر الثاني من الأمور الموجبة لذلك: تغير حاله وقلبه وفساد سلوكه بحَسَدٍ كان كامناً فيه، وكان يكتمه برهة من الزمان، فظهر ذلك الكمينُ في قالب، صورته حقٌّ، ومعناه باطل.

* * *

فصل

وفي الجملة ـ أيدكم الله ـ إذا رأيتم طاعناً على صاحبكم، فافتقدوه في عقله أولاً، ثم في فهمه، ثم في صدقه، ثم في سنه؛ فإذا وجدتم الاضطراب في عقله دلكم على جهله بصاحبكم وما يقول فيه وعنه، ومثله قلة الفهم، ومثله عدم الصدق أو قصوره، لأن نقصان الفهم يؤدي إلى نقصان الصدق بحسب ما غاب عقلُه عنه، ومثله العلو في السنِّ، فإنه يشيخ فيه الرأي والعقل كما تشيخ فيه القوى الظاهرة الحسية، فاتهموا مثل هذا الشخص، واحذروه، وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة.

وصفة الامتحان بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه أن تسألوه عن مسألة سلوكية أو علمية؛ فإذا أجاب عنها، فأوردوا على الجواب إشكالاً متوجهاً بتوجيه صحيح، فإن رأيتم الرجل يروح يميناً وشمالاً، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معان خارجة، وحكايات ليست في المعنى، حتى يُنسي ربّ المسألة سؤاله، حيث توهه عنه بكلام لا فائدة فيه، فمثل هذا لا تعتمدوا على طعنه، ولا على مدحه؛ فإنه ناقص الفطرة، كثير الخيال لا يثبت على تحري المدارك العلمية، ولا تنكروا مثل إنكار هذا، فإنه أُشتهر قيام ذي الخُويصرة التميمي إلى رسول الله ﷺ وقوله له: اِعْدلْ؛

فإنك لم تعدل، إن هذه قسمة لم يردْ بها وجه الله تعالى، أو نحو ذلك[1].

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول، فإنه ﷺ قال: «لتركبُنَّ سُنَنَ من كان قبلكم حذو القذة بالقذة»[2]، وإن كان ذلك في اليهود والنصارى لما كانوا منحرفين عن نهج الصواب، فكذلك يكون في هذه الأُمة من يحذو حذو كل منحرف وجد في العالم مُتقدماً كان أو مُتأخراً حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلوه.

---

(١) أخرج البخاري (٣٤١٤) من حديث أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً؛ أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اِعْدلْ، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: «دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه ـ وهو قدحه ـ فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه، فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس». قلت: وهذه هي صفة الخوارج الذين حذر منهم النبي ﷺ، فإن كان سابقهم اعترض على النبي ﷺ، فخلفه اليوم نراهم يعترضون سنة النبي ﷺ بتفسيرها على ما يوافق هواهم، فيعيثون في الأرض فساداً، فهم يخرجون على حين فرقة من الناس كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، وفي كل زمان؛ فلازم خروجهم الفرقة، وهي حاصلة لاسيما أخر الزمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٢) أخرج البخاري (٣٢٦٩)، ومسلم (٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم». قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: «فمن».

يا سبحان الله العظيم أين عقول هؤلاء ! أعميت أبصارهم وبصائرهم ؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة في الزمان المظلم المدلهم الذي قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا، وقد بقيت هذه الخطّةُ الضيقة يَشمُّ المؤمنون فيها رائحة الإسلام، وفي هذه الخطةِ الضيقَةِ من الظلمات من علماءِ السُّوءِ والدُّعاة إلى الباطل وإقامته، ودحض الحقِّ وأهله مالا يحصرُ في كتاب.

ثُمَّ إن الله تعالى قد رَحِمَ هذه الأُمّة بإقامة رجل قوي الهمة، ضعيف التركيب، قد فَرّقَ نفسَه وهمَّه في مصالح العالم، وإصلاح فسادهم، والقيام بمهماتهم وحوائجحهم، ضمن ما هو قائم بصدد البدعِ والضّلالات، وتحصيلِ موادِّ العلمِ النّبويِّ الذي يُصلح به فساد العالم، ويردّهم إلى الدين الأول العتيق جَهْدَ إمكانه، وإلا فأين حقيقة الدين العتيق ؟ فهو مع هذا كلِّه قائمٌ بجملة ذلك وحدَه، وهو منفرد بين أهل زمانه، قليلٌ ناصرُه، كثيرٌ خاذلُه وحاسده والشّامت فيه، فمثل هذا الرجل في هذا الزمان وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه، أيقال له: لِمَ يردُ على الأحمدية، لِمَ لا تعدل في القسمة، لِمَ تدخل على الأمراء لِمَ تقرب زيداً وعمراً، أفلا يستحيي العبد من الله، يذكر مثل هذه الجزئيات في مقابلة هذا العبء الثقيل، ولو حُوقق الرجل على هذه الجزئيات، وجد عنده نصوص صحيحة، ومقاصد صحيحة، ونيات صحيحة، تغيب عن ضعفاء العقول، بل عن الكُمَّلِ منهم، حتى يسمعوها.

أما ردُّه على الطائفة الفلانية أيها المفرط التائه الذي لا يدري ما يقول أفيقوم دين محمّدِ بن عبد الله ﷺ الذي أنزل من السماء إلا بالطعن على هؤلاء ! وكيف يظهر الحق إن لم يخذل الباطل، لا يقول مثلَ هذا إلا تائهٌ أو

مُسنٌّ أو حاسدٌ، وكذا القسمة للرجل في ذلك اجتهاد صحيح، ونظر إلى مصالح تترتب على إعطاء قوم دون قوم، كما خصّ الرسول ﷺ الطلقاء بمئة من الإبل، وحَرَمَ الأنصار، حتى قال منهم أحداثهم شيئاً في ذلك لا ذوو أحلامهم، وفيها قام ذو الخُويصرة[1]، فقال ما قال، وأما دخوله على الأمراء فلو لم يكن؛ كيف كان شمُّ الأمراء رائحة الدين العتيق الخاص، ولو فتش المفتش لوجد هذه الكيفيةَ التي عندهم من رائحة الدين ومعرفة المنافقين إنما اقتبسوها من صاحبكم، وأما تقريب زيد وعمرو، فلمصلحة باطنة، لو فتش عنها مع الإنصاف وجد هنالك ما يرى أن ذلك من المصلحة.

ونفرضُ أَنّك مصيبٌ في ذلك، إذ لا نعتقد العصمة إلا في الأنبياء، والخطأ جارٍ على غيرهم؛ أيذكر مثل هذا الخطأ في مقابلة ما تقدم من الأمور العظام الجسام ! لا يذكر مثل هذا في كراسة ويعددها، ثم يدور بها على واحدٍ واحد، كأنه يقول شيئاً ؟ إلا رجل نسأل الله العافيةَ في عقله، وخاتمة الخير على عمله، وأن يردَّه عن انحرافه إلى نهجِ الصواب، بحيث لا يبقى معشره يعيبه بعلمه وتصنيفه من أولي العقول والأحلام.

ونستغفر الله العظيم من الخطأ والزّلل في القول والعمل، والحمد لله وحدَه وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

هذا آخر الرسالة التي سماها مؤلفها: التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار.

* * *

---

(١) تقدم ذكر خبره، انظر الصفحة: ٤٣.

المحتويات

الموضوع	الصفحة



